عاشوراء
من المِحْنَة إلى المِنْحَة

إعداد
فضيلة الشيخ / أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

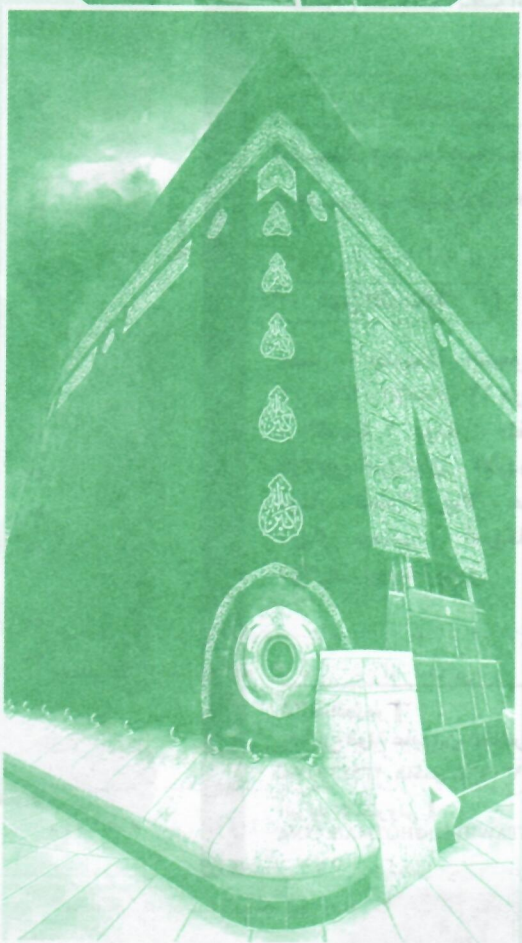

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، والصلاة والسلام على خير من صبر وعفى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى، وبعد:

فإن من سُنن الله الماضية في الناس: الابتلاء بالشر والخير، قال تعالى: «وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» (الأنبياء: ٣٥)، وقد ساق الكتاب العزيز والسنة المطهرة أدلة على وقوع الابتلاء بما يكرهه الإنسان، كقوله تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» (البقرة: ١٠٠)، وقوله تعالى: «لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ» (آل عمران: ١٨٦). وفي مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص قال: قلت: يا رسول الله، أيّ الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل من الناس، يُبتلى الرجل على حسب دينه: فإن كان في دينه صلابة زيد من بلائه، وإن كان في دينه رقة خُفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة".

Upload by : altawhedmag.com

وقد ساق الكتاب العزيز جانبًا من صور البلاء في حياة الأنبياء والمرسلين وغيرهم. ومن ذلك ما كان في قصة نبي الله موسى عليه السلام وقومه مع فرعون، وتكفي إشارة القرآن الكريم إلى طغيان وعلو فرعون في مثل قوله تعالى: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» (القصص: ٤).

وقد لحق هذا الطغيان أم موسى، كما ذكر ابن كثير رحمه الله: إن موسى وُلد في السَّنة التي يقتلون فيها الولدان، وكان لفرعون أناس موكلون بذلك وقوابل يدورون على الناس من رأينها قد حملت أحصوا اسمها، فإن ولدت غلامًا دخل عليها أولئك الذباحون بأيديهم الشفار المرجفة فقتلوا ومضوا، قبحهم الله.

فلما وضعت أم موسى ضاقت به ذرعًا وخافت عليه خوفًا شديدًا، وأحبَّته حبًّا زائدًا. وكان موسى عليه السلام لا يراه أحد إلا أحبّه، قال الله تعالى: «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» (طه: ٣٩). فلما ضاقت ذرعًا به ألهمت في سرها وألقي في خلدها ونفث في روعها: «وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» (القصص: ٧)، ووصل التابوت الذي يحمل موسى عليه السلام إلى بيت فرعون، وكاد فرعون أن يقتله.

> ساق الكتاب العزيز جانبًا من صور البلاء في حياة الأنبياء والمرسلين وغيرهم. ومن ذلك ما كان في قصة نبي الله موسى عليه السلام وقومه مع فرعون

قال ابن كثير رحمه: إن فرعون لما رأى موسى همَّ بقتله خوفًا من أن يكون من بني إسرائيل، فجعلت امرأته آسية بنت مزاحم تدافع عنه، وتُحبِّبه إلى فرعون، قال تعالى: «وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» (القصص: ٩).

وتتوالى المحن على نبي الله موسى، حتى وهو يعيش في بيت فرعون، فقد دخل المدينة فوجد فيها رجلين يقتلان؛ أحدهما من شيعته والآخر قبطي، فوكز موسى القبطي فقتله، قال تعالى: «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ» (القصص: ١٥). قال الإمام الطبري رحمه الله: فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفًا من جنايته التي جناها، وقتله النفس التي قتلها أن يُؤخذ فيقتل بها، يرقب الأخبار: أي ينتظر ما الذي يتحدث به الناس مما هم صانعون في أمره وأمر قتله، قال تعالى: «وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (القصص: ٢٠، ٢١).

وخرج موسى عليه السلام متجهًا إلى مدين بهداية الله له ليقضي عشر سنوات، يعود بعدها برسالة إلى فرعون: «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى» (النازعات: ١٥- ٢٦).

ويحكي القرآن الكريم جانبًا من عناد فرعون وطغيانه واستهزائه في مثل قوله تعالى: «قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ» (الشعراء: ٢٣).

قال ابن كثير: يقول تعالى عن كفر فرعون وتمرده وطغيانه وجحوده في قوله: (وما رب العالمين)؛ وذلك أنه كان يقول لقومه: «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» (القصص: ٣٨)، وكانوا يجحدون الصانع تعالى، ويعتقدون أنه لا ربّ لهم سوى

Upload by : altawhedmag.com

فرعون.

وادعى فرعون فرية أخرى فاتهم موسى عليه السلام بالجنون: «قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون». قال شيخ المفسرين: قال فرعون: إن رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوب على عقله؛ لأنه يقول قولاً لا نعرفه ولا نفهمه.. لأن الذي يدعو إليه موسى باطل ليست له حقيقة. ومن التهمة بالجنون إلى التهمة بالسحر: «وإني لأظنك يا موسى مسحورًا» (الإسراء: ١٠١).

ولم يقابل فرعون الحجة بالحجة، بل قابل ذلك بالقوة: «قال لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين» (الشعراء: ٢٠)، ولم تكن محنة موسى عليه السلام مع فرعون وحده، بل حاشيته وأتباعه، بل وطال الأذى كل من آمن برب العالمين رب موسى وهارون.

فكان تحريض حاشية فرعون على موسى وأتباعه: «وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك» (الأعراف: ١٢٧).

ورحم الله ابن كثير فقد قال عند تفسير قوله تعالى: «سنقتل أبناءهم..» وهذا أمر ثانٍ بهذا الصنيع، وقد كان نكل بهم قبل ولادة موسى عليه السلام حذرًا من وجوده، فكان خلاف ما رامه، وضد ما قصده فرعون، وهكذا عُومل بنقيض صنيعه، هذا أيضًا إنما أراد قهر بني إسرائيل وإذلالهم، فجاء الأمر على خلاف ما أراد؛ فنصرهم الله عليه، وأذله، وأرغم أنفه، وأغرقه وجنوده.

وبعد هذا الصراع الطويل والآيات الباهرات لم يؤمن لموسى إلا القليل، قال الله تعالى: «فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين» (يونس: ٨٣)، قال الإمام الطبري بعد أن ساق أقوال المفسرين: وأولى الأقوال عندي قول مجاهد: إن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل، فهلكوا قبل أن يُقرّوا بنبوته لطول الزمن، فآمن منهم من ذكر الله بموسى، ودعا موسى ربه قائلاً: «وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم» (يونس: ٨٨).

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج من مصر ليلاً، وأرسل فرعون في المدائن حاشرين للحاق بموسى وقومه للقضاء عليهم، «فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون (٦١) قال كلا إن معي ربي سيهدين» (الشعراء: ٦١، ٦٢)، وأوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر: «فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (٦٣) وأزلفنا ثم الآخرين (٦٤) وأنجينا موسى ومن معه أجمعين (٦٥) ثم أغرقنا الآخرين» (الشعراء: ٦٣- ٦٦)، وتحولت المحنة إلى منحة، وكان ذلك في يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من شهر الله المحرم.

> لم تكن محنة موسى عليه السلام مع فرعون وحده، بل حاشيته وأتباعه، بل وطال الأذى كل من آمن برب العالمين رب موسى وهارون.

وكان من تمام شكر الله تعالى صيام ذلك اليوم، فصامه موسى عليه السلام، وصامه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر بصيامه، بل وزاد عليه يومًا ليخالف اليهود، كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: «ما هذا؟». قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال: «فأنا أحق بموسى منكم». فصامه وأمر بصيامه. وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن عباس قال: قال صلى الله عليه وسلم: «فإن كان العام المقبل إن شاء الله صمنا التاسع..».

فاللهم وفقنا لما تحب وترضى، وأرنا عجائب قدرتك في الطغاة والظالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com